

وظائف العجائبي في سرد الروائي العراقي جمعة اللامي*

زهير هداد سلمان
قسم اللغة العربية
كلية التربية – جامعة القادسية
العراق

أ.د. سرحان جفات سلمان
قسم اللغة العربية
كلية التربية – جامعة القادسية
العراق

الملخص

يسعى هذا البحث الى الوقوف على وظائف العجائبي في سرد جمعة اللامي، والتعرف على الحمولات التي حملتها تلك الوظائف وماهي الرؤى التي ضمنها الكاتب لموضوعاته العجائبية وماهي الرسائل التي اراد للسرد ان يؤديها عبر تلك الوظائف، و الغايات الدفينة التي اضمرها جمعة اللامي في سرده العجائبي.

Wondrous Functions in the Narrative of the Iraqi Novelist Juma Al - Lami

ABSTRACT

This research seeks to find out the functions of the fantastic in the narration of Juma'a al-Lami, and to identify the loads carried by these posts and what are the visions that the writer included for his fantastic subjects and what messages he wanted to narrate to perform through these functions and the hidden goals that Juma'a Al-Lami made in his fantastic narration.

* جمعة عجبل درويش راشد اللامي، كاتب وروائي عراقي، ولد في محافظة ميسان سنة 1947 م ومقيم في إمارة الشارقة. سافر إلى بغداد سنة 1959 ثم حكم عليه بالسجن 12 عاماً سنة 1963 م قضى منها ست سنوات متواصلة في أغلب سجون ومعتقلات العراق. غادر العراق عام 1979 واستقر في دولة الإمارات العربية المتحدة منذ سنة 1980. شغل مناصب عدة في صحيفة الخليج وصحيفة الاتحاد، وهو رئيس مركز الشارقة – ميسان العالمي للحوار والتنمية الثقافية، يعمل حالياً كاتباً متفرغاً في جريدة "الخليج".



المقدمة

في كل نص ادبي بل في كل فن، هناك رسالة يقف وراءها مرسل، وهي بالتأكيد موجهة الى متلق او مرسل اليه، وفي هذه الرسالة موضوع ما، ولاشك ان هذا الموضوع له هدف او غاية يريد الوصول اليها في ذات المتلقي او فكره . ولموضوع الرسالة وظيفة معينة يريد المرسل من الموضوع ان يؤديها، اي ان هناك شيفرة ما، يحملها النص تحتاج الى تفكيك، وهذه الشيفرة لا بد لها من ان تكون نابعة من ذات المؤلف اولا ومطبوعة بطبيعة اجتماعية او نفسية مستلهمة من محيط وبيئة الكاتب وثقافته وهي تتغير بتغير الميثاق السردي وتتطور وتتعد بتطوره وتعقده. كانت وظائف السرد الكلاسيكي سهلة وبسيطة ولا تحتاج الى جهد كبير من المتلقي من اجل الوصول اليها ومعرفتها وتفكيكها، ويتطور الفكر الانساني وتعقد الحياة الاجتماعية صارت الحاجة الى كسر المؤلف تفرض نفسها، والسرد العراقي ليس شاذا عن امر كهذا.

وجاء السرد عند الجيل الستيني العراقي تكسيرا للنمط السائد وتقاطعا مع النزعة العقلانية الكلاسيكية التي صبغت الادب العربي ومنه العراقي آنذاك. وقد اتسمت كتابات الجيل الستيني ((بالتجارب الفردية والاحباطات والتجريب وعدم الالتزام بأية ايديولوجية محددة))⁽¹⁾. ولم يعد الواقع كافيا امام الفردوس المفقود الذي حلم هذا الجيل بانه ((سوف يعم يوما ما العراق والوطن العربي والعالم، معتقدا ان الثمن المدفوع في الحاضر هو ضريبة الوصول للمستقبل))⁽²⁾. و اصبح ادباء هذا الجيل يرون واقعهم بعين تختلف عن سبقوهم فقد ((احس القاص الستيني بنفسه كجزيرة منفصلة عن عالم الآخرين، لذا وجد في الاشكال التجريبية والغنائية والذاتية ادوات ملائمة للتعبير عن ضياعه وتمزقه وحيرته. وهكذا لم يكن تجاوزه الواقعية مجرد رفض عقلي مقصود. بل كان يرتبط برؤياه الجديدة للواقع، و لأبعاد تجاربه الذاتية))⁽³⁾ هذا الاحساس بعدم الانتماء للواقع حدا بذاك الجيل لمعالجة موضوعاته بطريقة تتناسب مع ما يريد ايصاله للمتلقي فصار يمازج بين الواقع والخيال.

وجمعة اللامي ((كان منذ كتاباته السردية الاولى مفتونا بالتجريب ومشاكسة الاعراف التقليدية في السرد والكتابة، ولم يكن يطبق الجلوس تحت مظلة جنس ادبي واحد))⁽⁴⁾ هذه المشاكسة والفتنة في التجريب قادت جمعة اللامي ليكون ((واحدا من الاصوات السردية العالية في جيل الستينات في العراق))⁽⁵⁾ موظفا سرده بطريقة تتلاءم مع التجريب والمشاكسة.

يرى تودوروف ان الادب العجائبي يؤدي وظيفتين الاولى اجتماعية والثانية ادبية⁽⁶⁾

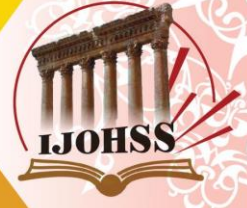
1. الوظيفة الاجتماعية

يؤدي العجائبي وظيفة اجتماعية في السرد، فهو يستطيع ان يتسلل خلال العرف ويراوغ احكامه، واحيانا كثيرة يتغلب عليه. انه يلبس طاقية اخفاء اجتماعية يستطيع من خلالها الولوج لكثير من المواضيع التي لا يستطيع السرد العادي الولوج اليها، انه يدخل الى كثير من المساحات ويهيمن عليها ببساطة، وامام عين الرقيب، ولكن دون شعوره.

و الوظيفة الاجتماعية طريقة لقول ما لا يقال، وللحديث عما لا يمكن الحديث عنه، دون خشية او خوف تقريبا. العجائبي يستطيع لباس المقدس ثياب الدنس ورفع المدنس الى مصاف الطهر، فحدود الممنوع عنده مطواحه يستطيع الكاتب ان يشكلها كيف يشاء، ويستطيع ان يمرر المكبوت والممنوع والمضطهد ((فكثيرا ما يأتي الحكي العجائبي كغطاء لتجاوز الضوابط الاجتماعية والتخلص من الحواجز والممنوعات والمحرمات الاجتماعية (Tabou) المفروضة على الانسان داخل بيئته الاجتماعية، وعليه فالعجائبي عندما يقوم على اساس اجتماعي، يشيد نصا ابداعيا له دلالاته الاجتماعية والاخلاقية الخاصة))⁽⁷⁾.

وتحمل الوظيفة الاجتماعية في طياتها وظيفة سياسية وايديولوجية وربما دينية ايضا فالسياسة والايديولوجيا والدين مكونات اساس في المجتمع لاسيما المجتمع العراقي.

ووظف جمعة اللامي سرده العجائبي اجتماعيا واستطاع نقد مجتمعه، و اشار الى الكثير من مظاهر القبح المخفية تحت السطح، وتحدث في الدين والايديولوجيا ونقد المظاهر الاجتماعية المرتبطة بهما، واستعار واقتبس من النصوص الدينية المقدسة دون ان يقلل من احترامها او قدسيتها.



استدعى جمعة اللامي كثيرا من الشخصيات ذات القدسية وجعلها تعيش مع الناس وتمشي بينهم دون ان يثير ريبة طائفة ما او مجموعة معينة، ذلك لأنه وظّف العجائبي فجعله يخدم سرده ورسالته التي اراد ايصالها.

ففي مجموعته القصصية (من قتل حكمة الشامي) يمزج جمعة اللامي بين شخصيات تتبع ايدولوجيا معينة وبين شخصيات تاريخية اسلامية بطريقة عجائبية ممتعة قل نظيرها وربما انعدم. (فحكمة الشامي) القتل الذي ظل السؤال مستمرا عن قتله ((يجول من عشرات السنين في شوارع مدينة العمارة ومفازاتها، يبحث في المقابر الرسمية والسرية عن الموتى ليلا ونهارا حاملا بكف يده اليمنى شمعة))⁽⁸⁾ ولا يتوانى جمعة اللامي حين يصفه بانه مذبح من الفقى كما الحسين بن علي (ع)، وانه احب امرأة وذاب فيها فكان جزاؤه القتل. ويصف جمعة اللامي بطله بانه ((على جبينه غرة بيضاء يهتدي بنورها المسافرين في تطواف الليالي الملائى بالزمهرير والحلوب. وهو الصادق في عشيرته الامين لاهل بيته، احبهم كما نفسه ورأهم كما رأها))⁽⁹⁾ انه يعطي بطله صفات القدسية فمن هو هذا القتل؟ بجيبنا احد اصوات القصة ((كان فتانا غير اننا قتلناه. جاء لنا من اقاصي ميسان وغرته مصباح منير اضاء ليلنا الموحش))⁽¹⁰⁾ انه فتى قادم من ميسان يحمل فكرا يشبه ديننا جديدا انه صورة للمخلص ((ومرت الايام قاحلة ضنينة، وجاء الى العالم من يخلصه من عبوديته القديمة، فمات على صليب من احب.. ايها الذين تعرفون الجوانب الاخرى من هذه القضية، طهروا نفوسكم وانقلبوا على تقاليد الدين المتوارث "وأن لخير الله ان تتركب" وأن للرهبنة ان تزول))⁽¹¹⁾

البطل هنا يشبه المسيح (ع) في موته على الصليب ومن خلاله يمرر جمعة اللامي دعوته للكفاح المسلح من خلال الدعوة للانقلاب على التقاليد وتضمينه لمقولة الرسول محمد(ص) (يا خير الله اركبي)⁽¹²⁾. ان القراءة في البنية العميقة للقصة تقود الى تأويل ايدولوجي اجتماعي لما اراد الكاتب ان يرسله الى المتلقي في ان السلطة القائمة تغتال كل ما هو نبيل وسامٍ ويحمل فكرا يهدف به الى خير الناس، فكما قتل المسيح والحسين عليهما السلام قتل ذلك الفتى الميساني النبيل.

لقد استطاع جمعة اللامي من خلال البنية العجائبية للنص من تمرير افكار، ما كان من الممكن ان تمر عبر السرد العادي، وما كان يمكن لها ان تصل الى المتلقي، اذا علمنا ان السلطة القائمة في زمن كتابة القصة كانت تتشدد كثيرا في نشر كل ما يمت الى الايدولوجيا التي لا تتوافق معها .

وفي قصة (اهتمامات عراقية) حيث السرد العجائبي الفائق، الذي يمزج الماضي بالحاضر محاولا ان يمرر فكرة او رأي غاية في الحساسية، لاسيما وانه يتناول شخصية مقدسة عند عموم المسلمين هي شخصية الامام الحسين بن علي (ع) ويمزج بينها وبين شخصية التائر (تشي غيفارا) مرة، ومرة مع شخصية (محمد بن علي) امير الزنج، هذه الشخصيات التي اراد الكاتب من خلالها ان يقول ان الارضية غير مهياة للقيام بثورة تستطيع تحقيق الحلم المنشود بالعدالة.

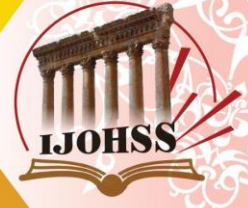
ويحاول الكاتب ان يضع حدا فاصلا بين حديث المنابر وبين حقيقة الحسين (ع) بوصفه تائرا.

((الصوت : التاريخ روى ما روى. انت لست كاتباً جيداً. انت تعيد ما قالته الكتب الصفرى وما بكى من اجله القراء فوق المنابر الحزينة.

المؤلف : اياك وحديث المنابر. الحسين في دمي. الحسين - دمي))⁽¹³⁾

ان طقوس الندم والفجيرة لا تصنع تائرا فحين تجلى الحسين(ع) امامها لم تستمع اليه بل لم تره وكررت الخذلان الذي يتعرض له التائرون والمصلحون كثيرا.

ان استعمال رمزية الامام الحسين(ع) وتوظيفها اجتماعيا من اجل تمرير ايدولوجيا معينة امر حساس جدا وما كان له ان يمر بهذه السهولة واليسر في السرد العادي، بل لا يستطيع ان يحقق أهدافه، ويصبح مجرد اعادة كتابة لمقتل الامام الحسين(ع) كما تناقلها الرواة عبر القرون ((تستطيعون ان تتساءلوا: لم جزأ القصة كما ترونها الان .. ألا يستطيع ان يروي قصة مقتل الحسين (ع) كما رواها ابو مخنف رحمه الله؟))⁽¹⁴⁾ لقد شاكس الكاتب السلطة في هذه القصة، ودعا للثورة عليها عبر استدعاء الرموز الثورية من فترات مختلفة في التاريخ من خلال توظيف السرد العجائبي بحرفية واتقان.



وفي قصة (تحولات سلمان المحمدي) يؤدي العجائبي وظيفته الاجتماعية من خلال مهاجمة الام السلطة الذين يتربصون لكل من يحمل فكرا مختلفا، والنظر الى هؤلاء الازلام على انهم مسوخ تتناسخ عبر التاريخ وتؤدي وظيفة واحدة هي القمع وخدمة الجلاد.

إن دفاع (سلمان المحمدي) عن ايمانه الراسخ بما جاء به محمد (ص) وتحمله انواع العذاب عبر رحلته الطويلة من مسقط رأسه الى يثرب هو جذور لإيمان السجين السياسي اليساري الذي خرج للتو من سجن بعقوبة المركزي. وكما تمكن (سلمان المحمدي) من الايمان برسالة محمد(ص) قبل ان يراه فإن اليساري يستطيع ان يحقق الايمان بفكرته بنفس الاسلوب. وبذا استطاع جمعة اللامي من تمرير الايديولوجيا اليسارية من خلال استدعاء شخصية اسلامية واعطاها بعدا عجائبيا، موظفا السرد العجائبي لذلك.

وفي قصة (كيف اغتيل جمال الدين ابو يسار) يعرض جمعة اللامي ما تعرض له اليسار العراقي من اضطهاد وتعسف على يد السلطة التي استغلت فتاوى بعض رجال الدين من اجل التنكيل بالمنتهمين الى الفكر اليساري ((وبسرعة. بسرعة مذهلة، استجاب الناس الى ما امر به رئيس مجلس العلماء، وكان مدير المصرف الزراعي يبدو في اول الشارع الرئيسي يحث خطاه، نحو المسجد، يحمل صليبا خشبيا ضخما))⁽¹⁵⁾. وهو هنا يحتمل السلطة والرأسماليين المتعاونين معها مسؤولية قتل اليسار الثوري والاطاحة به. ففي الهامش الذي وضعه الكاتب للتعريف بجمال الدين ابو يسار يشرح لنا الكاتب محاولات الاصلاح التي قام بها ثم يبرر خروج المنتهمين لليسار خارج البلد بعد ما تعرضوا له من تنكيل ((أنا اعتبر جمال الدين ابو يسار نمطا من هؤلاء القلة الذين نسلم بهم في ايامنا هذه: شهود على جرائم المدن الاثمة. انه كان في - اليشن - يشاهد ويحس ويعقل سقوطها اليومي وتدهورها المرعب، وكان فيما يبدو لي - يحاول اصلاح مدينته، لكنه كان يصطدم بإدارة مجلس العلماء ومدير المصرف الزراعي لذلك فانه غادر المدينة، الى الخارج، ليس كهرب الجبناء والمهزومين، بقدر ما كانت هجرته انتفاضة جريئة لإصلاح امر المدينة من الخارج))⁽¹⁶⁾ لقد استطاع الكاتب عن طريق توظيف العجائبي من توجيه اصابع الاتهام الى السلطة وتحميلها مسؤولية الدمار الذي حل بالبلد وادى الى هجرة ابنائه في محاولة للإصلاح من الخارج او للهرب خوفا على الحياة هذا الاتهام تم امام اعين السلطة نفسها وبوسائلها الاعلامية دون ان تعي ما قام به الكاتب، ذلك لأنه استخدم شيفرة العجائبي لتمرير موضوع رسالته.

استطاع جمعة اللامي وبذكاء لافت من توظيف رموز التراث الاسلامي لصالح سرده دون ان يقع في فخ الفئوية الدينية، فسرده ليس اعادة كتابة للتاريخ، وشخصياته التي يستدعيها تلبس لباس المجتمع الحاضر، رغم تراثيتها، فهو يصيب الماضي بصبغة حديثة أو يعيد غرس الجيد من الماضي في تربة الحاضر منتظرا ان يثمر ولو بعد حين. إن صراع الايديولوجيا يتجلى بامتياز في رواية (المقامة اللامية)، حيث يوظف الكاتب البنية العجائبية للرواية مشبرا الى الصراع بين المسلمين انفسهم في معركة صفيين و ما بعدها، وكيف ان هذا الصراع امتد عبر الزمن ليصل الى الزمن الحاضر وكأن التاريخ ينسخ نفسه مرارا، وهذا الامر أثر بشكل كبير على البنية الاجتماعية الاسلامية المحيطة بالكاتب، فانقسم المجتمع الى فئات على اساس الايديولوجيا الدينية، فنة تقف مع الحاكم وتعتبره رمزا مقدسا وفنة مارست دور المعارضة السياسية والفكرية واحيانا المسلحة. وحين تصل الرواية الى الزمن الحاضر ينتقل الصراع الى صراع ايديولوجيتين الاولى دينية متوارثة تنتظر المخلص والاخرى يسارية ثورية تعتمد الكفاح المسلح كحل. وتعتمد السلطة على القمع في التعامل مع الايديولوجيتين كل على حدة، ولان الايديولوجيتين لم تتحدا في مواجهة السلطة فقد ادى ذلك الى تشتت قواهما ثم الاطاحة بهما وقتل رموزهما. إن رواية (المقامة اللامية)) (تنأى عن ثنائية النصر والسلطة، وتذهب الى ثنائية: الاغتراب الانساني والبحث عن المعنى، كي تحاور الممزق و المتداعي والمعنى المرغوب فيه الهارب ابدأ))⁽¹⁷⁾ فجميع شخصيات الرواية تعاني اغترابا من نوع ما، وتنتهي حكاية الرواية بمقتل بطلها (احمد العبدالله) وتخفي الشخصيتين الرئيسيتين فيها ((قالت سالمة :

- كل المدن ترفضنا .. اننا نعيش حياة سرية..

وكان وليد الاحمد قد غير هيئته .. فلقد تزيا بزى رجل دين، وبدت سالمة امامي، مثل ربة بيت من بيوت مدينتنا القديمة))⁽¹⁸⁾

فالمدين (السلطة) صارت تقتل الفكر الديني الذي يعارضها وترفض الفكر الثوري الذي يمثله (وليد الاحمد) مما يضطره الى ان يلبس زي رجل دين، ولهذا الفعل دلالة اجتماعية فالحياة السرية تضطر ابطال الرواية الى التخفي

تحت جنح ما هو سائد ومقبول من الجميع وانتظار الفرصة للعودة وتصحيح المسار وهذا بحد ذاته علامة من علامات القمع الايديولوجي الذي تعرض له المجتمع العراقي لاسيما بعد انهيار الجبهة الوطنية نهاية سبعينات القرن العشرين.

وقد استطاع جمعة اللامي من توظيف العجائبي توظيفا اجتماعيا وتوجيه النقد للاسلاميين واليساريين لانهم لم يتحدوا في مواجهة السلطة القائمة آنذاك وانشغلوا في صراعاتهم الفكرية ومحاولة اثبات ان وجهة نظر الاخر خاطئة، الامر الذي افادت منه السلطة ووظفته لصالحها ثم قامت بقمع الطرفين كلا على انفراد. وظف جمعة اللامي سرده العجائبي لنقد مجتمعه وتسليط الضوء على الخفي فيه وقول ما لا يقال، واستحضر لتلك الوظيفة شخصيات تاريخية وجعلها تبرز بالحاضر بأسلوب عجائبي مائز يستحضر التاريخ ولكنه لا يعيد كتابته، يستحضر الشخصيات لا ليحاكمها بل ليأخذ صفاتها المائزة واضعا اياها في بوتقة جديدة يحاكم من خلالها الحاضر ويتلمس وهناته وقبحه.

2- الوظيفة الادبية

اي نص ابداعي مهما كان نوعه لا بد ان تكون له وظيفة ادبية، تستهدف المتلقي وتستثيره بطريقة ما، ((وكلما زاد رنين اللغة وتصويرها المجازي، صار النص اكثر ادبية مما يدفع القارئ الى العودة الى لغته وجهازه الثقافي لإدراك المعنى وتأويله))⁽¹⁹⁾. والنص العجائبي له وظيفة ادبية فهو يستثير المتلقي بوحدة او اكثر من الطرق اما بإثارة خوف المتلقي او تشويقه او محاكاة ميوله الى حب الاستطلاع او لتحقيق المتعة او المعرفة، ((وكلما حقق النص ادبيته تحقق التواصل، والتأثير بين النص ومتلقيه))⁽²⁰⁾ فالعجائبي حين يستهدف المتلقي يقودنا ليس للسؤال عن وظيفة الحدث العجائبي ((وإنما عن وظيفة رد الفعل الذي يستثيره))⁽²¹⁾ فنحن نتعامل مع رد الفعل عند المتلقي، نتعامل مع التردد الذي اثاره الحدث العجائبي وبالتالي النص العجائبي.

العجائبي يسهل علينا عملية (موت المؤلف) ((إذ أن الخطاب العربي يجبر المنتج على الانتساب لما يقول))⁽²²⁾ وحين يموت المؤلف فانه يفتح الباب للوظيفة الادبية على مصراعيه وكما يقول رولان بارت ((موت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القراءة))⁽²³⁾ فلا يقف المتلقي عند تأويل معين بل يصبح باب خياله مفتوحا لتأويلات كثيرة، ولذا فان عملية ابعاد جمعة اللامي عن نصوصه العجائبية تكون سهلة احيانا لولا انه يصر على الظهور معلنا عن اسمه الصريح في المتن او الهامش او معطيا اشارة تفسر ماهية الرمز مما يُفعل في بعض الاحيان بوابة التأويل.

ونستطيع رصد الوظيفة الادبية في السرد العجائبي لجمعة اللامي إذ يثير العجائبي في نفس المتلقي في بعض المواطن خوفا او رعبا. فمسوخ جمعة اللامي التي تطارد ابطاله او تقض مضاجعهم تجعل المتلقي مستغفرا بين القبول و اللاقبول محاولا ان يصل الى تأويل لما يقرأ حيث تنهشم البديهييات التي تعودها لتحل محلها فرضيات جديدة تستدعي المتلقي الى اعادة القراءة ((ومع اعادة القراءات قد تتعدد الرؤى والتأويلات، فتزيد علاقة المتلقي بالنص، ويمنح النص فرصا اكبر للاستمرار، من خلال النظر اليه على انه نص مفتوح، يقبل اكثر من قراءة واحدة))⁽²⁴⁾.

إن تحول الجياد الى هينات بشرية ووجود كراديس من الرجال من دون رؤوس واطفال بوجوه ممسوحة وقوافل الأبل بدون ارجل او اسنمة او وجود ذراع تتكلم هذا كله في قصة واحدة هي (فردوس المنفى) هو امر مخيف بل ومرعب يجعل المتلقي يعيد قراءة القصة مرارا محاولا الوصول الى تأويل يتلاءم مع قدراته المعرفية فتتعدد التأويلات بتعدد القراءات مما يعطي للنص ديمومه واستمرارية. الامر نفسه ينسحب على قصص اخرى في نفس المجموعة القصصية (من قتل حكمة الشامي) ففي قصة (من قتل حكمة الشامي) التي هي عنوان المجموعة هناك الثعبان الذي ينام مع "ونسة" ((الثعبان ينام معها تحت جلدها وفي جوف عظامها، وبني عشه في رحمها، ويضاجعها في الليل على فراش واحد))⁽²⁵⁾، إن الخوف والتردد الذي يخلقه الثعبان عند المتلقي يجعلنا نتساءل .. من هو حكمة الشامي ومن هي "ونسة"؟ قبل ان نحاول معرفة من قتل الشامي، وهنا يفتح النص العجائبي على تأويلات عدة، فحكمة الشامي فتى قادم من اقاصي ميسان، مات من اجل الناس ولم تقتله "ونسة"، كان اضحية من اجل تحرير "ونسة" من الثعبان الذي يسكنها ((قالت عرافة مدينة العمارة: النجوم يا فرحة لا تكذب. الأضحية هو



حكمة الشامي))⁽²⁶⁾. ونستطيع تأويل "ونسة" وثعبانها بالارض العراقية وحاكميها الذين يمتصون دماء الشعب فيعطي ابناؤه اضحية في سبيل تخليص الارض من ذلك الثعبان.

ويبلغ الخوف مداه في قصة (اهتمامات عراقية) حيث السفن التي تخترق النهر تحمل ثلاثة رؤوس ((كانت السفن تحمل رائحة الصحراء والدم المتيسب في اسفل الاعناق المبتورة. ثلاثة رؤوس على القنوتات مشرعة، رجل ملتج، من بين الرؤوس كان يبتسم للأطفال المذعورين))⁽²⁷⁾. ان الصورة مربكة جدا وتسبب ذعرا حقيقيا لدى المتلقي لاسيما ان احد الرؤوس كان يبتسم رغم هول المنظر.

وتكثر الصور المخيفة في سرد جمعة اللامي فتحقق الوظيفة الارعابية، وفي قصة (الغرفة) اجد ان مشهد دخول الجياد الى المدينة مشهد مرعب ((وسمعت امي في مطبخ العائلة تغمغم، فيما حوافر الجياد تفرع خشب نافذتي الجنوبية، ويطل أحدها برأسه المستطيل فاتحا منخريه والزبد يرغو على جانبي فمه))⁽²⁸⁾ ولا يقل عنه رعبا وجود اناس صغار بحجم رأس الدبوس وهم يرقصون.

ويصبح الرعب خالصا، ان صح التعبير، حين يكون هناك مشهد لأكل لحوم البشر ((وكان العريف يقف على مبعدة مني يضع شينا من الملح والفلفل على قطع من لساني المذبوح ليزرددها بنهم))⁽²⁹⁾ فالعريف هو السلطة والبطل مقطوع اللسان واحد من الشعب وهي دلالة على اسكات السلطات للشعب بالرعب.

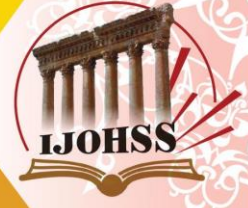
وفي قصة (تحولات سلمان المحمدي) يكون الخوف سمة بارزة من خلال المسخين اللذين يطاردان سلمان المحمدي عبر التاريخ او من خلال مشاهد سقوط الجدران ((وسقطت لبنة، لبنتان، ثلاث، اربع، سقط الجدار الاول تبعه الثاني، تراجع سلمان المحمدي قرب الباب، انخلع الباب، سقط الجدار الثالث، تعالت الضجة. سقط الجدار الرابع))⁽³⁰⁾ او مشهد سقوط المصرف ((نظرالى المصرف الزراعي الذي اخذ يتداعي، ويسقط، في سكون موحش))⁽³¹⁾ او مشهد سقوط المدينة ((هل هذا حقيقي.... اتسقط مدينة اليشن ؟ .. كان خانقا بعض الشيء. انما الخوف ازداد عندما اطفئت الانوار، فأخذ يركض من زقاق الى زقاق .. كانت بيوت اللبن تتساقط، مثل مستطيلات اسفنجية، وارطم جسده بخيول نفقت، وتعثر مرات باجدات لكلاب وقطط كانت تطلق عويلا آسياً))⁽³²⁾ ان مشاهد السقوط المخيفة تستفز المتلقي وتستنفذ حواسه وفكره للبحث عن تأويل لما يقرأ، فتتصاعد وتيرة السرد وتتعدد الرؤى والتأويلات مما يعطي النص مجالا اوسع للبقاء والديمومة.

وفي قصة (التستري) تتوالى مشاهد الخوف وتتعدد فيظل الشعور بالريبة مستمرا على طول مساحة السرد، فعملية قتل (التستري) التي تتكرر مرات عدة في القصة تصنع ترددا وتثير تساؤلا عن حقيقة ما يجري وتجبر المتلقي على الاستهتام عن كينونة (التستري) التي لا تتلاءم مع مظهره فهو يبدو كالمجنومين ووجهه ((يشبه لحم سمك الجري بعد سلخه. ولاحظ عينيه تطلان من فتحتين مدورتين مثل فوهتي الماسورة المزدوجة لبندقية الصيد، مغطيتان بأجفان بلا اهداب. لم يكن مجنوما ولكنه يبدو كالمجنومين))⁽³³⁾ فما الداعي لمطاردة رجل مثل هذا وقتله مرارا وما الداعي لإحضار شخصية (التستري) الصوفي المعروف.

القصة تعطينا مفاتيح للتأويل فالتستري كان في السماوة والموصل وقبلهما كان في النجف وقد قُتل سابقا في قرية السلام وقلعة دزه والحي وهذا يقود التأويل الى ان التستري هو رمز للسياس العراقي الذي تعرض الى نكبات عديدة وتعرض للقمع ولكنه استطاع الاستمرار ولو بوهن .

أما في قصة (الثلاثية الثالثة) ولشدة الرعب الذي يحيط ببطل القصة، تتساوى الشجاعة بالجبن ((لقد تساوت الشجاعة عندي والجبن، لم اكن ادري على وجه الدقة ما كان يحدث قربي، كان هناك انخزال في قلبي، ولا تركيز في عقلي))⁽³⁴⁾. فما حدث مع بطل القصة من ترويع وتخويف قلما يصمد امامه انسان ((وسمعت الصوت ذا الوجه الملتحي ينادي. الصراصر .. اريد الصراصر هنا. كان الوجه الملتحي يغيب عني في هواء قاتم وشعرت اني اظير. وكان خلفي وامامي صراخ وهلاهل ومكبرات صوت تطلق زعيقا حادا، واصطدمت قدماي باجساد آدمية، كاملة، واذ سقطت من الهلع او من شدة الظلمة لا فرق. تلمست يداي رؤوسا بلا ابدان أنرعا، لفات شعر، اجساد دافئة واخرى باردة))⁽³⁵⁾ ان خوف الشخصية ورعبها ينتقل الى المتلقي وان الاخلال بالتوازن السرد في القصة يقود المتلقي فقدان التوازن النفسي لحظة القراءة مما يشعره بنفس الشعور الذي تعيشه الشخصية ويصفه السارد.

والعجائبي يعطي للسرد ديمومته من خلال التوتر والتأزم الذي يخلقه الحدث العجائبي، ((حيث يحافظ على التوتر وينميه من خلال اجزاء النص، وفي مختلف اوقات القراءة. فحضور عناصر عجائبية يمنح تبريرا افضل لاستمرار الاحداث، ويخلق ترقبا دائما لوقوع احداث جديدة لم تكن متوقعة))⁽³⁶⁾، فهناك بنية ثابتة لدى المتلقي، وهو مقتنع بها



وتعود عليها من خلال العيش في الأبعاد الثلاثة (طول، عرض، ارتفاع) هذه البنية الثابتة جعلته يلمس الأشياء ويحس بها، فيأتي العجائبي ليكسر ترانبية الأشياء وترتيبها و يغير طبيعة الأبعاد الثلاثة فيخلل التوازن داخل البنية السردية بين ما كان قبل العجائبي وما صار بعده، فالنواز يخلق نمطية في الحدث تقضي الى ملل ورتابة والعجائبي يخلق الخلل في التوازن فيؤدي الى التوتر الذي يقود الى التشويق وهذا وجه آخر للوظيفة الأدبية. وسرد جمعة اللامي لا يعترف بالترانبية مطلقا ولذا نجد ان سرده دائما يحتفظ بقدر من التوتر ليخلق خللا في نمطية الحكاية. والقصة او الرواية الناجحة ((هي تلك التي تبني التوتر ثم تسمح له بالانطلاق كالرعد))⁽³⁷⁾ فالنوتر مستمر في سرد جمعة اللامي فأحد لا يستطيع توقع ما هو الحدث التالي في القصة او الرواية إذ غالبا ما يتفاجأ المتلقي بحضور شخصية عجائبية عبر الزمن تقلب مسار الاحداث او دخول مسخ او متحول يغير خط السرد ويدفعه باتجاه لم يكن متوقعا.

وفي (الثلاثية الرابعة) يكون السرد متوترا باستمرار وعلى وتيرة عالية، فهي مثل الكثير من قصص وروايات جمعة اللامي تتداخل فيها الاحداث والزمن ويختلط الماضي بالحاضر، فالبطل يعيش ازمة نفسية شائكة تجعله يخلط بين الاحداث والشخصيات. ويشكل وجود شخصية المرأة فاعلا لخلق التوتر في السرد إذ تظهر هذه المرأة في كل الاماكن التي يتواجد فيها البطل (شايح الشرقي) او (محمد المهدي) كما تناديه تلك المرأة. وظهور المرأة يجعل البطل في حيرة وتردد شديدين يقودانه الى التساؤل، هل هو في حلم ام هي حقيقة؟ هذا التساؤل يقود السرد الى التوتر عن طريق خلق بنية عجائبية من خلال المشاهد التي تظهر فيها المرأة والتي يكون بعضها مخيفا ومرعبا ((ومن فهمها المفتوح استطعت ان اسمع صوت ارتطام الهواء داخل جوفهاو كانت مجوفة))⁽³⁸⁾ وتستمر تلك المرأة بملاحقة بطل القصة فيفقد توازنه وتقوده الى ما يشبه الجنون مما يدفعه الى الصراخ فلا يجد من يسمعه ((ها انت هنا، هناك، داخل البيت، خارج البيت، صاحيا، سكران، سجيناً، طليقا، عازبا، متزوجا. ولم يكن هذا ليحدي شيئا فقد قمت وصحت بأعلى صوتي: أسمعون .. أنا منقع العذاب، المرأة تلاحقتني، إن ايام الصيف الجنوبي غادرتني، انني صنو اليتيم))⁽³⁹⁾ إن الملاحقة التي تفقد البطل توازنه ترفع التوتر في السرد، سيما وان هذه الملاحقة عجائبية لا يمكن توقع ماهيتها ومتى ابتدأت واين تنتهي وهي تشبه الكثير من الملاحقات في قصص جمعة اللامي.

ان طاقة التوتر في السرد عند جمعة اللامي متجددة لا تكاد تنفد ومصدرها الرئيس هو البنيات العجائبية لقصصه ورواياته فلا تكاد شخصياته تلتقط انفاسها (ومعها المتلقي) حتى تنفاجأ بتوتر جديد يخلل التوازن في الحكاية ويثير المتلقي ويستفز مشاعره خوفا او ترقبا او حبا للاستطلاع ((ويدفعه الى نفس المواقف والآراء التي شكلها من قبل عن العالم. وكذلك التخفف من عبء قانون الحتمية))⁽⁴⁰⁾ فلا شيء مؤكد وليس هناك امر حتمي.

وفي رواية (المقامة اللامية) هناك شخصية (احمد العبدالله) وهي شخصية جدلية ذات بنية عجائبية سيما من ناحية وجودها الزمني فهي موجودة عبر الازمنة ويكاد عمرها يصل الى الف عام، تموت ولا تموت، ولا يمكن معرفتها بسهولة ولذا فان وجودها يصعد وتيرة التردد، فشخصية (احمد العبدالله) تقف في منتصف المسافة بين الارض والسماء ((ولم يكن احمد العبدالله ارضيا بما فيه الكفاية))⁽⁴¹⁾ بل كان اقرب للسماء منه الى الارض ((ثم مرق البراق من امام عينيه كان مسرجا وحاضرا للرحلة))⁽⁴²⁾ وشخصية جدلية مثل هذه الشخصية اضافة الى الشخصيات الاخرى بينائها العجائبي ((كفيلة بدفع القارئ الى قراءة النص مرة تلو الاخرى))⁽⁴³⁾ علنه يستطيع فك مغاليقها والتوصل الى كينونتها او فهم تأويلها فتارة نرى (احمد العبدالله) رمزا لنبي وكاننا سماويا حيث البراق المسروج وتارة هو ارضي يقيم علاقة مع امرأة مجهولة النسب لا احد يعرف من اين جاءت ((تعشمت انه يمزح اول مرة عندما دخل البيت فهربت الفتيات ولاذ الصاحون من الرجال بالفرار بينما استقبلته نصف مبتسمة))⁽⁴⁴⁾ ولكنه ينقلها من حيث تقف هي في المكان المشبوه الى حيث يقف هو، وبما يؤمن به هو، عبر ما يملكه من كرامة متوارثة من الاجداد ((تصورت انها تحلم، فداخت ودارت بها ارضية الغرفة وسقفها ولكنه امسك بها من كتفيها الواهنتين، واستدار بكامل جسدها نحو القبلة وقال: تلك هي الكعبة هيا امسكها يا ملكة. واخذ يدفعها دفعا خفيفا امامه. وكانت تصرخ: سيدي إنها تتقدم إلي ولست انا التي اتقدم))⁽⁴⁵⁾ إن دخول رجل قريب من السماء الى مكان مشبوه يخلل بالتوازن ويصدم المتلقي ويجعله يحاول استعادة التوازن الذي اختل وما أن يخلق توازن جديد حتى يخلل مرة اخرى فكرامة (احمد العبدالله) تقود مليكة الى رؤية الكعبة تتقدم اليها.



ان هذا الاختلال المستمر في التوازن يعمق العلاقة بين النص والمتلقي و ((يثير فضوله المعرفي لاتخاذ وجهة نظر محددة تجاه ما يحدث. ولان المتلقي غير قادر على البت في طبيعة النص فانه سيضطر الى اعادة قراءته. واعادة القراءة، او استرجاع النص ذهنيا، يساعد ايضا على تمديد زمن العلاقة بين النص والمتلقي))⁽⁴⁶⁾ وفي روايتي (مجنون زينب) و (عيون زينب)، تبرز الوظيفة الادبية للعجائبي من خلال الخوف والتوتر اللذان يخدمان السرد ويخلقان خلا في التوازن، الامر الذي يوطد العلاقة بين النص والمتلقي ويطيل امدها. إن رمزية الكفن وارتباطه بالموت هو امر مخيف يثير ترددا، وهذا ما بدأ به جمعة اللامي حكايته في رواية(مجنون زينب)، بدأها بتوازن مختل سلفا ثم اردف ذلك بظهور شخصية الرجل (كلي البياض) فيحدث المزج بين الواقع والخيال، الامر الذي يقود المتلقي الى السؤال عن كُنه هذه الشخصية هل هي واقعية ام هي محض خيال، مما يزيد من التوتر داخل البنية الحكائية للرواية ويلغي نمطية التوازن ويعمق الشك عند المتلقي ليحقق اكبر قدر ممكن من الادهاش.

ويتعمق الخوف والتردد وتزداد وتيرة التوتر مع ظهور شخصية (زينب) بصورها المتعددة وجدلية تلك الشخصية ورمزيتها.

ان امتساح (زينب) الى امرأة مجذومة يقابلها البطل في الظلام كفيل بخلق اجواء من الخوف و التوتر تخل بالتوازن وتجمع بين التناقضات وتخلط بين المؤلف واللامؤلف.

ولا يكاد التوازن يعود الى الحكاية حتى يختل ليدوم التردد ويزيد وتيرته ويثير شغف القارئ ((اقترب جسدا زينب والمجنون حتى التصقا تماما ببعضهما، ثم رأينا حزمة نور احمر. تماما كما كان النجم الاحمر يتقد حينها))⁽⁴⁷⁾

ان سرد جمعة اللامي بعجائبيته الفائقة غالبا ما يهشم افق التوقع عند المتلقي ويناقض ظنونه مما يفتح بوابة التأويل على سعتها فتكون الوظيفة الادبية للعجائبي مؤداة على اكمل وجه، فهو يستفز المتلقي ويجعله يتساءل ويبحث عن الاجابة التي، بالتأكيد، لن تكون واحدة بل هي اجابة تأويلية تعتمد على نوعية المتلقى ووعيه وسعة افقه. فعنصر المفاجأة الذي يحفل به السرد العجائبي عند جمعة اللامي يخلق الاسئلة التي تحتاج الى اجابات فيرفع من القيمة الفنية للنص ويحافظ على التوتر.

الهوامش

- 1 الرواية في العراق وتأثير الرواية الامريكية فيها : 31
- 2 تهافت الستينين : 13
- 3 الرواية في العراق وتأثير الرواية الامريكية فيها : 31
- 4 المبنى الميتا- سردي في الرواية : 337
- 5 م . ن : 337
- 6 ينظر مدخل الى الادب العجائبي : 198
- 7 العجائبي في المخيال السردي في الف ليلية و ليلة : 9
- 8 من قتل حكمة الشامي : 41
- 9 م . ن : 42
- 10 م . ن : 44
- 11 م . ن : 47
- 12 ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري : [413/7]
- 13 من قتل حكمة الشامي : 84
- 14 م . ن : 92
- 15 اليشن : 62
- 16 م . ن ، الهامش : 62-63



- 17 الرواية وتأويل التاريخ: 83-84
18 الاعمال الروائية – المقامة اللامية : 213
19 السرد الروائي وادبية التناص : 20
20 م . ن : 20
21 مدخل الى الادب العجائبي : 201
22 صنعة السرد : 129
23 نقد وحقيقة: 25
24 العجائبي والسرد العربي النظرية بين التلقي والنص : 214-215
25 من قتل حكمة الشامي : 46
26 م . ن : 46
27 م . ن : 87
28 م . ن : 93
29 م . ن : 109
30 م . ن : 14
31 م . ن : 15
32 م . ن : 15
33 م . ن : 89
34 م . ن : 124
35 م . ن : 124
36 العجائبي ومسألة الاخر : 83
37 فن الرواية، كولون ولسون : 93
38 الاعمال القصصية – الثلاثية الرابعة : 248
39 م . ن : 254-253
40 العجائبي ومسألة الاخر : 83
41 الاعمال الروائية – المقامة اللامية : 167
42 م . ن : 167
43 العجائبي ومسألة الاخر : 83
44 الاعمال الروائية – المقامة اللامية : 168
45 م . ن : 168
46 العجائبي والسرد العربي : 306
47 مجنون زينب : 130

المصادر

قصص وروايات جمعة اللامي

1. الاعمال الروائية، جمعة اللامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2004م
2. الاعمال القصصية، جمعة اللامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2004م
3. عيون زينب، جمعة اللامي، دار كنعان للدراسات والنشر، طبعة خاصة، دمشق، 2010م



4. مجنون زينب، جمعة اللامي، دار كنعان للدراسات والنشر، طبعة خاصة، دمشق، 2010م
5. من قتل حكمة الشامي، جمعة اللامي، مجموعة قصصية، دار تكوين، بيروت، ط1، 2016م.
6. اليشن، جمعة اللامي، دار الحرية للطباعة، ب ط، بغداد ، 1978م

الكتب

7. الرواية في العراق (1965-1980) وتأثير الرواية الامريكية فيها، د. نجم عبد الله كاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987م.
8. الرواية وتأويل التاريخ، فيصل دراج، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2004م
9. العجائبي والسرد العربي النظرية بين التلقي والنص، د. لؤي علي خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2014م
10. العجائبي ومسألة الآخر، عبد الرحمن وجليسي، دار الفكر العربي، ط1، الجزائر، 2016م المبنى الميتا سردي في الرواية، فاضل ثامر، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، بيروت، 2013م
11. تهافت الستينين- اهواء المنقف ومخاطر الفعل السياسي، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، 2006م. 47صنعة السرد : 129
12. فن الرواية، كولون ولسون، تر. محمد درويش، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2008م
13. مدخل الى الادب العجائبي، تزفتان تودوروف، ت. الصديق بو علام، دار الكلام، ط1، الرباط، 1993م
14. نقد وحقيقة ، رولان بارت ، تر: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري، (بلا م) 1994م. فتح الباري شرح صحيح البخاري : [413/7]

الدراسات

15. السرد الروائي وادبية التناصية الرواية المغاربية نموذجاً، اطروحة دكتوراه، كوارى مبروك، جامعة وهران، كلية الاداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وادابها، الجزائر، 2008-2009م
16. السرد الروائي وادبية التناصية الرواية المغاربية نموذجاً، اطروحة دكتوراه، كوارى مبروك، جامعة وهران، كلية الاداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وادابها، الجزائر، 2008-2009م.